

The Year of Three

Ferdinando Frega

GILLETTE: عام الثلاثة — الفصل 4

كان الوقت ما زال باكراً في ذلك الصباح من مارس حين رنّ أحدهم جرس الباب.

أخذ الجميع يتساءلون في الحال من عساه يكون. ابتسمت ابنتي جورجيا، وأعلنت بثقة تامة: «أخيراً. جاؤوا ليعتقلوك.»

واتضح أنه ساعي البريد لا غير.

كان قد نسي في مساء اليوم السابق أن يسلّم برقية. وخوفاً من أن يكلّفه الخطأ وظيفته، قرّر أن يصلحه عند الفجر. أما الساعة فكانت عنده، على ما يبدو، تفصيلاً ثانوياً.

فتحت زوجتي البرقية بدافع الفضول. وكان نصّها:
«حضرة السيدة الجليلة وزوجها مدعوّان إلى حضور الفعالية التي ستقام في 30 مايو في قاعة الأراخنة بريدجو كالابريا، بعنوان: توائم مواليد عام 1993.
يُرجى الاتصال بالسكرتارية خلال ثلاثة أيام من استلام هذه البرقية لتأكيد الحضور. لن تترتب عليكم أي نفقات.»

نظر كلٌّ منا إلى الآخر.
كانت ثلاثة وثلاثون عاماً قد مرّت. ومثل هذه المناسبات لا تتكرر كثيراً. تملّكنا الفضول.

شرعت زوجتي على الفور في حملة توصياتها.
تأدّب.
لا تُقدم على أي تصرف متهوّر.
ابقَ هادئاً صافي الذهن.
اقبل كل ما يعطوننا إياه.
ثم عُد إلى البيت بهدوء.

كانت تبتسم وهي تقولها.
كانت تعلم علم اليقين أن نصح الذئب بحسن السلوك بين الخراف مضيعة للوقت في العادة.
هاهاهاها.

وجاء يوم الفعالية أخيراً.
كانت القاعة مزدحمة. لم نتعرف على أحد. أنا على الأقل لم أتعرف.
كان الزمن قد غيّر وجوه الجميع.
والغريب أن أحداً تقريباً لم يصطحب أبناءه.

افتُتح البرنامج بكلمة لمتحدثة، طبيبة توليد عملت في العيادة في تلك السنوات.
ذكّرت بأن عام 1993 كان عاماً استثنائياً.
شهد أربعاً وخمسين ولادة توائم.
إحدى وخمسون منها كانت لبنات.
وثلاث فقط لصبيان.

بعد ذلك صعد مدير العيادة إلى المنصة ودعا الأزواج الثلاثة الذين أنجبوا التوائم الذكور إلى التقدّم.
حين سمعتُ اسم عائلتي، رسمت زوجتي إشارة الصليب في صمت.
كانت مغامرة جديدة تبدأ.
كانت تعلم أنني سأتكلم.
لكنها لم تكن تعلم ما الذي سأقوله.

سُئل الزوجان الأولان عمّا يظنان أنه سبب ولادة توأمهما. فأجاب الزوج بحماسة أن الطعام الجيد والشغف الكبير كان لهما على الأرجح الدور الحاسم.
ضحك الحضور وصفّقوا.

ووُجّه السؤال نفسه إلى الزوجين الثانيين.
هذه المرة أجابت الزوجة، ملمّحة إلى أن علاجاً هرمونياً متقدماً ربما أثّر على نحو ما في النتيجة.

ثم جاء دورنا.
سارعت زوجتي إلى الاستيلاء على الميكروفون قبل أن أسبقها إليه.
شرحت أن ولادات التوائم تسري في تاريخ عائلتي: أنا، وأبي، ومن قبله جدي.
فالأمر في رأيها كان متوقعاً.
يكاد يكون طبيعياً.
كان كل شيء يسير في أمان.

ثم أقدمت على الخطأ القاتل.
حاولت أن تناولني الميكروفون.
فتلقّفته.
فرصة كهذه لا تأتي إلا مرة في العمر.
وما كان لي أن أضيّعها.

شرحتُ أنني كنت أعمل في تلك السنوات لدى Gillette في تجارة الجملة.
ومن الطبيعي، قلت، أن يكون تفسير ولادة التوائم سهلاً.
إنه المبدأ نفسه في عروضنا الترويجية:
خذ اثنين وادفع ثمن واحد.
انفجرت القاعة ضاحكة.

شجّعني ردّ الفعل، فمضيت.
«كان عاماً شاقاً، عام 1993. عاماً لا يُنسى. لكنني أودّ أيضاً أن أوضّح أنني لم أحظَ قبل ذلك بلقاء أيٍّ من السيدات الحاضرات هنا.»

ابتسمت السيدات.
وابتسم الأزواج أقلّ.
واستعاد الكون توازنه.

وأخيراً انتهت الفعالية، واتجهنا نحو المخرج.
وبينما نحن نهمّ بالخروج استوقفتني عدة سيدات.
«يا سيد Gillettenarrative»، نادين.

وفي تلك اللحظة فهمت شيئاً.
السنون تمضي.
الوجوه تتغير.
الذكريات تبهت.
لكن الحكايات تسافر أسرع من أصحابها.
كنت قد وصلت بصفتي فرديناندو.
وعلى نحو ما، كانت حكاياتي قد وصلت قبلي.

فرديناندو